

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

علي أسعدي (*)

ترجمة: دافل الممداني

ملخص البحث

يروم الباحث في هذا البحث إلى مقارنة تأريخ الفكر الإسلامي عن طريق الوقوف عند أبرز تيارين أبتلي بهما تاريخ الفكر الإسلامي، هما تياران منحرفان مستقلان في مجال فهم القرآن والروايات، حيث نشأ كل من هذين التيارين في ظروف وعوامل معروفة وغير معروفة، وترك كل منهما أثراً وانعكاساتٍ في مجال الفكر الإسلامي.

أول هذين التيارين هو النزوع التأويلي غير الخاضع للضوابط والمعايير، والتصوّرات البطونية للقرآن التي لا تنسجم مع ظاهره، بل تتعارض مع روح الشريعة وأصول وقواعد التفسير والمباني المسلّمة لقواعد اللغة العربية، ومن نماذج هذه الانحرافات التفسيرية التأويلات التي قدّمها الصوفية والباطنية عن آيات القرآن.

ويتمثّل التيار الثاني في ما نشهده من تحجّر وتقيّد مفرطٍ بظواهر الكتاب والسنة الأولى، وجمودٍ على الروايات في التفسير، وعدم توظيف العقل والفكر

(*) دكتوراه في الدراسات القرآنية، أستاذ في مؤسسة السيّد الخميني بقم المقدّسة.

في معارف الوحي، وعدم التعدي للمعنى الأولي للآيات. مع الإشارة إلى نماذج من موارد كثيرة مما تعتقد به الفرق الظاهرية؛ للوصول إلى المعرفة الإجمالية بهذا النسق الفكري، والنظر إلى الآثار الجمّة التي خلفها في المجال النظري والعلمي والسياسي والاجتماعي والثقافي في المجتمع الإسلامي. إلى جانب ذلك استجلاء الخلفيات النفسية والفكرية والثقافية لهذا التيار.

المدخل

أبتلي تاريخ الفكر الإسلامي بتيارين منحرفين مستقلين في مجال فهم القرآن والروايات، حيث نشأ كلٌّ من هذين التيارين في ظروفٍ وعواملٍ معروفةٍ وغير معروفةٍ، وترك كلٌّ منهما آثاراً وانعكاساتٍ في مجال الفكر الإسلامي.

أول هذين التيارين هو النزوع التأويلي غير الخاضع للضوابط والمعايير، والتصوّرات البطونية للقرآن التي لا تنسجم مع ظاهره، بل تتعارض مع روح الشريعة وأصول وقواعد التفسير والمباني المسلمة لقواعد اللغة العربية، ومن نماذج هذه الانحرافات التفسيرية، هو التأويلات التي قدّمها «الصوفية» و«الباطنية» عن آيات القرآن^(١).

ويتمثل التيار الثاني في ما نشهده من تحجّر وتقيّد مفرطٍ بظواهر الكتاب والسنة الأولى، وجمودٍ على الروايات في التفسير، وعدم توظيف العقل والفكر في معارف الوحي، وعدم التعدي للمعنى الأولي للآيات، وتزداد خطورة هذه المسائل في الآيات المتشابهة، حيث الجمود على الألفاظ والمعاني الابتدائية للنصّ القرآني، أدّى إلى القول بالتجسيم والتشبيه، كما في قوله تعالى ﴿جَاءَ رَبُّكَ﴾ وقوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، أو أن أخذ ظاهر بعض الآيات دون النظر إلى الآيات المرتبطة بها، أدّى إلى الجبر أو التفويض المطلق، أو نفي التوسل والشفاعة وغيرها من المسائل، وكان قد ترك كلٌّ من هذه التيارات آثاراً عمليةً سيئةً على المجتمعات الإسلامية، منها: أن الاعتقاد بالجبر

والتفويض أوجب سكوت طوائف من المسلمين على طول التاريخ على الظلم والاضطهاد، كما أنّ عقيدة نفي التوسل والشفاعة تسبب في قتل أعداد كبيرة من المسلمين بتهمة الكفر.

على صعيد آخر، فإنّ التأكيد على تعذّر فهم الآيات المتشابهة حرم زمرة من المسلمين في التعمّق في الآيات، وهناك آثارٌ كثيرةٌ لهذا التيار تظهر من خلال درس كلّ اتجاهٍ وخطٍ من خطوط أهل الظاهر.

لم تكن الحركة الظاهرية حركةً عابرةً في تاريخ الفكر الإسلامي، بل كانت حركةً مؤثّرةً بدأت من عصر ما بعد النبي ﷺ واستمرّت إلى عصرنا الحالي، وكان حصّة السنّة من هذا الأدام المسموم أكثر من الشيعة بكثير، وكان على رأس هذا الفكر، أهل الحديث ومدرسة الحديث في الحجاز، ويعتقد الأستاذ أحمد أمين أن هناك خصوصيتين تمتاز بهما مدرسة الحديث وهما:

١. كراهمهم الشديدة للسؤال عن الواجبات، لأنّ مصدرها الأساسي عندهم هو الحديث، فلا يجوز إعمال النظر والرأي حسب ما يرون.
٢. تأكيدهم على أهميّة الحديث بما في ذلك الضعيف، والتسامح في شروط قبول الحديث وتقديمه على الرأي والنظر^(٢)، فهم يعتقدون: «أنّ حاجة القرآن إلى السنّة، أكثر من حاجة السنّة إلى القرآن»^(٣) كما يعتقدون «أنّ عرض الأحاديث على القرآن خطأ ارتكبه الزنادقة»^(٤).

كما أنّ عصابةً من الظاهريين تعتقد «بعدم جواز تفسير القرآن الكريم لأيّ مخلوقٍ كان، حتّى وإن كان أديباً ومطلعاً اطلاعاً واسعاً على الأدلّة من الفقه والنحو والأخبار والآثار، ويمكنه فقط الاستناد إلى روايات النبي ﷺ والصحابة والتابعين»^(٥).

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

ومن هنا نقرأ في التاريخ أن رجلاً سأل مالكا: «هل أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ فأجاب: نعم، فقال الرجل: نزوله بعلمه أم بشيءٍ آخر؟ فصاح مالك: أسكت واستشاط غضباً»^(٦).

نعم لأن ظاهر الآية لا يثبت زائداً على ذلك، ولأن الظاهريين لم يقيموا وزناً لروايات أهل البيت عليهم السلام؛ اضطرّوا إلى تعطيل عقولهم عن فهم بعض المعارف الدينية، يقول البغدادي حول أصحاب الظاهر والجبريين: "أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات... وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال: زالت الشمس ودارت الرحي من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به"^(٧).

انبثق الفكر الظاهري من مدرسة أهل الحديث وعلى رأسها أحمد بن حنبل، واستمر بعد ذلك ممثلاً بالأشاعرة ثم ظهر في القرن السابع بثوب جديد على يد ابن تيمية، حيث ابتدع عقائد جديدة كنفى التوسل وكفر مرتكبه، ونفى الشفاعة والتبرك ومسائل أخرى. وروج لهذه المدرسة ونشر أفكارها في القرن الأخير محمد بن عبد الوهاب الذي مثل امتداه الطبيعي.

ولذا فإننا حتى في القرن الرابع عشر الذي عبروا عنه بأنه عصر سيطرة النزعة العقلية على تفاسير القرآن، نشهد ظهور تفاسير ظاهرية في باب الآيات المتشابهة على المستوى النظري، ونشهد أيضاً الانحطاط والخنوع والذل على المستوى العملي، وكل ذلك يعود إلى زرع هذه الشجرة الذابلة غير المثمرة - الظاهرية - في ساحة الفكر الإسلامي.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار الصفات الخيرية لله بوصفها رمز التيار



الظاهري، فإنّما نواجه ظاهرتين منحرفتين متشابهتين:

(أ) القبول بالمعنى الظاهري للألفاظ: أغلب فرق أهل الحديث أخذوا بالمعنى الظاهري للصفات الخبرية؛ تقليداً لأحمد بن حنبل واستناداً إلى قول مالك بن أنس حول قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ «طه: ٥»؛ اذ قال: (الاستواء معلومٌ والكيف مجهولٌ والسؤال عنه بدعةٌ)، ثمّ أتهم وبإضافة قول «بلا كيف» أرادوا الخلاص من تهمة التشبيه والتجسيم؛ يقول ابو الحسن الأشعري: (قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ...﴾ «القصص، ٨٨»، وقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فأخبر تعالى أنّ له وجهاً وعيناً بلا كيفٍ ولا حدودٍ»^(٨).

هذا النهج في التعامل مع آيات الصفات يتكرّر من جميع فرق أهل الحديث بالاستناد إلى عقيدة حجية قول السلف الصالح، كما نلاحظه في تفاسير مفسريهم المعاصرين^(٩).

(ب) فكرة التعطيل في الصفات الخبرية: لم يبين أصحاب هذه الفكرة معنى آيات الصفات، وردّوا أمرها إلى الله، معطلين بذلك قسماً من آيات القرآن الكريم، وكانت «الجهمية» و«الماتريدية» وفريق من «الكرامية» و«الضرارية» من هؤلاء المعطّلة^(١٠).

من جهةٍ أخرى، بحث الإيمان وكون العمل جزءاً منه أم لا، وبحث عصمة الأنبياء؛ وما استتبعه من وصول الظاهرية إلى حدّ القول بجواز ارتكاب الأنبياء للذنوب، هذه البحوث من مظاهر النزعة الظاهرية الأخرى التي يحتاج بحثها إلى مجال أوسع.

ولم تسلّم ساحة التشيع من الفكر الظاهري، وإن كانت مساحته ضيقةً

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

وأقوال الظاهريين فيه قليلة، فغلاة الشيعة كانوا من الظاهريين نُسبت إليهم أقوالٌ بعيدة عن الواقع في أغلب الأحيان بغضاً بالشيعة وعدوة لهم؛ ولكن حيث أن الأئمة المعصومين عليهم السلام صرّحوا ببطلانهم وتبرّءوا منهم، فلا أهمية للبحث في ذلك^(١١).

«الإخباريون» من التيارات الظاهرية الشيعية الأخرى، إذ كانوا يبحثون عن تفسير القرآن فقط في تفاسير الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويفضلون السكوت عن ما لم يرد فيه تفسيرٌ منهم، ولكن نظراً لأن أحاديث المعصومين عليهم السلام؛ فسّرت كثيراً من الآيات المتشابهة كالصفات الخبرية، ومسألة الجبر والتفويض والبحث في العصمة والإيمان، لم يكن للأخباريين عقائد منحرفة بمستوى كبير، يقول الشيخ الطوسي في عدة الأصول حول الأخباريين: (إذا سُئلوا عن التوحيد أو العدل أو صفات الأئمة أو صحة النبوة قالوا رويناه كذلك)^(١٢)؛ بمعنى أنهم لم يكونوا ينظرون في صحّة وسقم الحديث، ولم يستعينوا بالعقل في فهم حديثٍ أو آية.

هذه نماذج من موارد كثيرةٍ مما تعتقد به الفرق الظاهرية؛ ذكرناها لتحصل المعرفة الإجمالية بهذا النسق الفكري، ولننظر إلى الآثار الجمّة التي خلفها في المجال النظري والعلمي والسياسي والاجتماعي والثقافي في المجتمع الإسلامي.

ولكي نستجلي خلفيات هذا التيار نشير إلى النقاط الآتية:

١. الخلفيات النفسية

أدّى انس الإنسان بعالم المادّة إلى نسج تصوّراتٍ حسيّةٍ للمدراكات الماورائية والمعقولات، يقول أحد المفسرين حول البعد النفسي للمسألة:

(يعيش الإنسان طوال عمره أسيراً للحسّ والمحسوس ومتحيزاً للمادة ومشدوداً للتراب؛ وهذا أدى إلى أن يجسّم ويتمثّل صوراً حسية لكلّ معقولٍ وتصوّرٍ حتّى ولو كان ذلك من قبيل الكلبيّات والحقائق المنزّهة عن المادة، وحتّى لو لم يوجد طريقٌ للحسّ والخيال إليها، مضافاً إلى أنّ طريق الإنسان إلى المعقولات مقصورٌ على الحسّ، وهذا ما حدى به إلى الأُنس بالحسّ والخيال.

وهذه العادة التي تلازم الإنسان جعلته يرسم صورةً لله متماهيةً مع الأمور الحسيّة والمادية بحسب ما يألف، بل إنّ أكثر الموحدين الذين يعتقدون بتنزيه ساحة الله عن الجسم والعوارض الجسمانية، يتخيّلون صورةً مبهمّةً في أذهانهم لله سبحانه وتعالى؛ تحضر لديهم كلما توجهوا إليه وتناجوا معه، ولكنّ التعاليم الدينية تصلح هذه التصوّرات الخاطئة من خلال الجمع بين النفسي والاثبات، وإيجاد المقارنة بين التشبيه والتنزيه^(١٣).

وعليه فيمكن القول: أنّ التشبيه له جذورٌ نفسيّةٌ يشترك فيها جميع الناس، غير أنّ تعاليم الوحي تُصحّح هذا الاستئناس بالحسّ وتجعل من قلبه وعقله قابلين للتكامل والسعة، لكنّ البعض وبسبب الجهل أو التقليد أو اللجاج يتمسّك بهذه المسألة، ممّا ينتهي إلى قول البعض بالتشبيه، وقول البعض الآخر بالتعطيل، يقول الأستاذ مرتضى مطهّري في بيان الأساس النفسي في الهروب من العقل والحساسية منه على ساحة المعارف الدينية: «... من البديهي أنّ عامّة الناس ليسوا أهل تعقل وتفكّر وتحليل، إذ يعتبرون التدين مساوياً للتعبّد والتسليم الفكري بظاهر الآيات والأحاديث؛ ويعدون كلّ اجتهادٍ وتفكّرٍ، نوعاً من الطغيان والعصيان للدين، هذا وخصوصاً إذا كان هذا التوجه مرعي

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

سياسياً، وكان بعض علماء الدين والمذهب يروجون له...»^(١٤).

وحول الأسباب التي أدت إلى تشكّل الغلاة بوصفها واحدة من الفرق الظاهرية، يشير الشهيد مطهري إلى السبب العاطفي النفسي بغض النظر عن الأسباب الأخرى، إذ يقول: «تعود جذور الغلو بين الناس البسطاء إلى منشأ عاطفي نفسي؛ إذ كل شخص - ولكي يبرر عقيدته التي اختارها - يفخّم تلك العقيدة ويعطيها بُعداً يفوق حدّها؛ لكي لا يُتّهم بأنّ مزاجه واختياره منحرف»^(١٥).

هذا المنشأ النفسي كان ولا زال موجوداً في كثيرٍ من بسطاء الشيعة، وهو السبب في غلو هذه الطبقة بأهل البيت عليهم السلام.

٢. الخلفيات الفكرية

من الخلفيات الأخرى للمدّ الظاهري العوامل الفكرية والمعرفية، وإليك أهمّ خطوطها:

أ) الجمود الفكري والانغلاق النظري

الفهم الصحيح للدين بحاجة إلى نظرٍ واسعٍ وفكرٍ عميقٍ وعقلانيةٍ، بينما من آفات الدين، الانغلاق النظري والسطحية والجمود، فعندما ننظر إلى التاريخ الإسلامي، يتّضح دور هذا العامل في انحطاط المسلمين أو سموهم، فقد كانت فرق الظاهرية صريعة هذه الآفة التي جعلت الخوارج يقتلون عبد الله بن خباب وزوجته الحامل ويقرّون بطنها ويستخرجون جنينها ويقطعون رأسه، لا لشيءٍ سوى أنّه يخالفهم في العقيدة ويعتقد أنّ علياً عليه السلام أعلم الناس بالله، وكذلك نفس هذا المرض هو الذي جعل مجموعةً من الخوارج



يعترضون على صاحبٍ لهم ويتهمونه بارتكابه الحرام لكونه التقط حبةً من الرمان من الأرض ووضعها في فمه^(١٦).

وهناك شاهدٌ آخر على نتائج الجمود الوخيمة، وهو ردّة الفعل التي صدرت من أتباع ابن تيمية بعد موته، يقول ابن كثير حول ذلك: (مات ابن تيمية في المكان الذي كان محبوساً فيه، وقد حضر المكان (القلعة) جمعٌ غفيرٌ إلى أن سمح لهم بالدخول، وقبل التمسيل اجتمعوا حول جنازته يتلون القرآن، ويتبركون به من خلال رؤيتهم له وتقبيلهم إيّاه، ثم جاء جماعةٌ آخرون وفعّلوا مثل ذلك... وقد ألقى الناس عمائمهم وألبستهم على نعشه^(١٧) هذا في حين أنّ ابن تيمية يعتقد أنّ التبرك والتوسل بالميت كفرٌ وشركٌ ويؤكد على هذه العقيدة، الأمر الموجود لدى أتباعه في الوقت الحاضر؛ وهذا إنّما يدل على أنّه زرع عقائده في أرضٍ متحجرةً فكرياً خاليةً من عمق النظر والتأمّل، كما يمكن ملاحظة هذا الجمود والتحجّر الفكري عند غلاة الشيعة والأخباريين، فقد فسّر الغلاة حبّ الأئمة بشكل غير صحيحٍ فوقعوا في الشرك والكفر، مثلما وقع الأخباريون في الركود والجمود نتيجة عدم الاكتراث بالزمان والمكان في تلقي المفاهيم الدينية، يقول أحد المفسرين خلال اشارته إلى نهج أهل الحديث والأخبارية (الشيعة والسنة): (إنّ سرّ شلل المعرفة في الأعصار السالفة عبارة عن الفكر الظاهري المتحجّر، الذي لم يقتصر اعتقاده بوجوب الاحتياط في «ما لا نصّ فيه» على المسائل الفقهية، بل تعدّاها إلى المسائل الاعتقادية، فهجر القرآن الكريم، وأبعد عن الحكمة بحجّة التحريف أو صعوبة فهمه أو عللٍ أخرى، وأغفلت آياتٌ كثيرةٌ تدعو إلى النظر والتعقل والتدبر، أو كانت تستعرض مصاديق للاستدلال ونهاجٍ للاحتجاج...) (١٨).

(ب) الجهل

أدّى عدم العلم بالمفاهيم الدينية وقواعدها إلى الانحراف عن فهم القرآن بصورة عامّة، والتصوّرات ذات النزعة الظاهرية بصورة خاصّة، فقد ذكر القرآن الكريم الجهل بوصفه واحداً من موانع المعرفة، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٥٩)، وفي رواية أخرى عن عليّ عليه السلام قال: «الجاهل ميتٌ بين الأحياء»^(١٩).

إحدى الشبهات التي عرضت لأصحاب النزعة الظاهرية أنّهم توقّفوا في تأويل بعض الآيات، وأرجعوا أمر التفسير لأهل البيت عليه السلام، فباتوا جاهلين ببعض تلك الآيات؛ ولذا فهم يعتقدون بأنّ كلّ آية لم تأت في تفسيرها رواية، فلا بدّ أن تُقبل على ظاهرها أو تلاوتها، وهذه المسألة واضحة في الخوارج، وقد استطاع عليّ عليه السلام بالاستدلال بالآيات والروايات، وإقناع مجموعة منحرفين بسبب الجهل وعدم المعرفة، استطاع ضمّهم إلى معسكره في قضية التحكيم، كما تقع في هذا السياق المناظرة مع ابن الكوّاء الخارجي في بيان مشروعية الحكومة وإقناعه بالاستدلال بآيات القرآن الكريم، وانضمامه إلى جملة أصحاب الإمام عليه السلام^(٢٠).

وتتجلّى هذه المسألة أيضاً في تشكّل الغلاة، فالإمام الرضا عليه السلام يعدّ الجهل أحد أسباب الغلو، إذ يقول: «انّ هؤلاء الضلال الكفرة ما أتوا إلّا من قبل جهلهم»^(٢١). فالجهل أساس كلّ الانحرافات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وحالة مشتركة بين كلّ فرق الظاهرية والتأويلية، وبعد كل هذه التوصيفات، فلا عجب من تأكيد القرآن على المسائل العقلية وشجبه للجهل وعدم المعرفة.



ج) التعصّب والتطرّف في العقيدة

التعصّب من الأسباب الأخرى للنزوع الظاهري للشخص أو الفكر أو الحزب أو أيّ طيفٍ آخر، وقد حذرت الآيات والروايات من التعصّب بوصفه من موانع المعرفة، فالآية ٢٥ من سورة (الانعام)، أشارت إلى صنّفٍ من الناس لا يؤمنون بكلّ آيةٍ أو معجزةٍ يرونها بسببٍ من تعصّبهم وعنادهم، فبدل من أن يُسلموا، راحوا يجادلون رسول الله ويصفون ما جاء به بأنّه أساطير: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ... وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

ومن ظواهر الفكر الإسلامي البارزة - وبخصوص الفرق الظاهرية - هو القومية السياسية أو الفكرية، فالتعصّب أحد العوامل التي أدّت إلى شيوع المذهب الحنبلي بوصفه أحد الفرق الظاهرية، ذكر للفخر الرازي صاحب كتاب المناظرات الذي كتبه حول مذاهب أهل السنة؛ أنّ تعصّب أتباع مذهب الحنبلية المفرط للحديث وسنّة النبيّ وأصحابه جعلهم يستعدون كلّ فرقةٍ ومذهبٍ لديهم قدر من الانفتاح في تفكيرهم ولا يوازونهم في درجة التعصّب، وكانوا يجارون أتباع المذاهب الأخرى كالشيعة والشافعية عبر التعذيب والمضايقات والأذى، كما أشار ابن الأثير إلى جانب من هذا الأذى الكبير^(٢٢).

يقول أحد المستشرقين الأوربيين حول دور التعصّب في انحطاط وتحجّر الحنابلة وابن تيمية: «... لم يجوّز الحنبليون أقلّ مظهرٍ من مظاهر الحرية في العقيدة في المسائل الدينية، هم أكثر تعصّباً من الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى، وفي مطلع القرن ١٣ و ١٤ ميلادي - القرن السابع والثامن

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

الهجري - شنّ الفقيه الحنبلي المعروف، تقي الدين أحمد بن تيمية، حرباً ضروساً على كلّ تجديدٍ وبدعةٍ، بسبب تعصّبه المفرط... إنّ السطحية والأخذ بظاهر الكلام ورجعية الأفكار والتعصّب المفرط لدى الحنابلة، وابتعاد مذهبهم الفقهي عن الوقائع التاريخية الحيّة، وهجرانهم لكلّ ما هو جديد في المجتمع والحياة، كلّ ذلك أدّى إلى سقوط وانحطاط هذا المذهب»^(٢٣).

عندما ننظر إلى جذور تشكّل الخوارج، يتّضح لنا أثر التعصّب والعناد في ذلك، إذ نقل نصر بن مزاحم، أنّ أفراداً من بني راسب وبني تميم، وبعد قراءة اتفاق التحكيم المبرم عبر الأشعث بن قيس، صاحوا «لا حكم إلّا لله..»، فقد رفضوا في موقفٍ سطحيّ، تحكيم الرجال في الدين، إذ كان الرافضون للتحكيم من أهل العراق، فلم يكونوا مستعدين للتسليم في مقابل أهل الشام الموافقين على التحكيم، وكانوا يعتقدون بأنّ «أهل الشام» استطاعوا فرض رأيهم على الإمام، فلماذا لا تستطيع جماعة أخرى فرض رأيها عليه كذلك؟^(٢٤) وقد تمّت الإشارة في بعض الأحاديث إلى سبب الغلوّ في عقيدة تأليه الأئمّة وهي عبارة عن «الحبّ المفرط» لهم من أصحاب القلوب الساذجة والبسطاء من الناس، قال الإمام السجاد عليه السلام مخاطباً أبا خالد الكابلي: «... أنّ قوماً من شيعتنا سيحبوننا حتّى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزيز، وما قالت النصارى في عيسى بن مريم، فلا هم منا ولا نحن منهم»^(٢٥).

(د) التقليد والسلفية

التقليد والتمسك بالسلف من أهمّ جذور النزعة الظاهرية، إذ ما يروج اليوم تحت عنوان «السلفية» في أوساط أهل الحديث والحنابلة يرجع إلى هذه المسألة.



ذكر القرآن الكريم التقليد الأعمى بوصفه عامل انحرافٍ عن طريق التوحيد، فقال على لسان قوم عاد: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: ١٣٦-١٣٧).

وينقل في موطنٍ آخر عن مشرقي قريش ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾ (المائدة: ١٠٤)، وهناك آياتٌ أخرى تشير إلى هذا المعنى.

راج اصطلاح (السلف الصالح) في أوساط الحنابلة وأهل الحديث على عهد ابن تيمية وما تلاه، وأمّا من هم السلفية وماهي عقائدهم وأفكارهم، فيحتاج إلى بحثٍ دقيقٍ لا يتسع له هذا المقال، ولكن بنحوٍ إجماليٍّ يمكن القول: بأن «السلف» هم الصالحون من هذه الأمة، ومعناه الرائج يتحدّد بالقرون الثلاثة الأولى من حياة الأمة الإسلامية، أمة سيدنا محمد ﷺ، ويعود منشأ هذا الاصطلاح إلى رواية نقلها صحيح البخاري ومسلم عن ابن مسعود: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»^(٢٦).

وعلى أساس قانون أفضلية مسلمي القرون الثلاثة الأولى، يحكم السلفية في مسألة تأويل الآيات المتشابهة والصفات الخبرية لله، بما أنّ السلف الصالح المفضّلون، لم يتأولوا أيّ شيءٍ تفصيلاً، بل يعتقدون أنّ الثابت لله هو ما أثبتته لنفسه من خلال النصوص والآيات، ويعتقدون مع هذا الإثبات الإلهي بأنّه منزّه عن كلّ ما يحدش بمقام ربوبيته وألوهيته وقداسته^(٢٧)، إذن فنحن ملزمون بمتابعتهم في عدم التعرض للتأويل؛ وعلى هذا فلسنا مشمولين لقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦)، ولسنا أيضاً مشمولين لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

(الفرقان: ٧٣)^(٢٨)؛ لأنَّ السلف الصالح فسروا آيات الصفات؛ إذ أخذوها من الصحابة عن النبي ﷺ، وأنَّ علمائهم إذا سُئلوا عن مسألة، فإنَّهم يثبتون المعنى وينفون الكيف، كما قال مالك بن أنس حول قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥): «الاستواء معلومٌ والكيف مجهولٌ والإيمان به واجبٌ والسؤال عنه بدعةٌ»^(٢٩).

نشهد اليوم تكراراً ملحوظاً لما أورده ابن تيمية حول تفسير الآيات المتشابهة ووجوب اتباع السلف الصالح في أوساط أهل الحديث والوهابية، وقد كتبت الرسائل والكتب في هذا المجال، وممن سار على ذلك النهج المفسر المعاصر محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار الذي لم يخف اتباعه للسلف في مسألة تفسيرهم للصفات الخبرية والآيات المتشابهة إذ قال: «إنني والحمد لله على طريقة السلف»^(٣٠).

إنَّ تتبُّع الأدلَّة ونقد هذا المنهج تفصيلاً وإن كان يحتاج إلى مجالٍ أوسع، إلَّا أننا لا نترك الإشارة إلى مسألة مهمَّة وهي: أنه وعلى خلاف المؤمنين بالسلفية الذين يقولون: إنَّ السلف الصالح تعبدوا بالظواهر في الآيات المتشابهة كالصفات الخبرية، وأنَّهم لم يجادلوا ولم يبحثوا، نقول: هناك ثلاثة مناهج للسلف في درس العقائد الدينية:

أ) منهج الأخذ بظواهر الآيات والروايات والاعتماد على المدلول الظاهري لها وإن كان يستلزم التشبيه والتجسيم.

ب) منهج الاستناد إلى ظواهر الكتاب والسنة في ضوء العقل، واللجوء إلى التأويل في الموارد التي يؤدِّي فيها الأخذ بالظاهر إلى التجسيم والتشبيه، كتأويل «اليد» بالقوَّة و«الوجه» بالذات.



ج) منهج الاستناد إلى ظواهر الآيات والروايات مع ذكر قيد (بلا كيف) لئلا يستلزم التشبيه.

إذن، فما يدّعيه السلفية من كون التأويل من اختلاق المتأخرين ليس بصحيح، لكي يتهمونهم بالابتداع بسبب المطارحات الكلامية وإبداء النظر في المشابهات، بل سلف هذه الأمة خاض بالمجادلات الكلامية، وقام بتأويل الآيات في بعض الموارد.

تعرّض نصر حامد أبو زيد لمسألة التأويل لدى المتقدمين من الصحابة والتابعين، وقد ذكر نماذج كثيرة من هذه التأويلات، فعلى سبيل المثال، إشارته إلى تأويل أبي عبيدة في كل من الآيات: قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨): مجازه «إلا هو»، وفي قوله تعالى ﴿مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦): «في جنب الله وفي ذات الله واحد»^(٣١)، وفي قوله: «إلا هو آخذ بناصيتها» (هود، ٥٦) «مجازه: إلا هو في قبضته وملكه وسلطانه»^(٣٢)، وكما نلاحظ فإن أبا عبيدة قد استخدم المجاز في الكلمات: «الوجه» و«جنب الله» و«ناصية» التي يستلزم الأخذ بها على ظاهرها التجسيم، كذلك توظيف الكناية - التي هي نوع من التأويل - في تفسير الآيات، ففي قول ابن عباس أيضاً خروج للسلف عن ظواهر الآيات، إذ يقول في قوله تعالى ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧): «الرفث: هو الجماع ولكن الله الكريم يكتني عما يشاء»^(٣٣)، ومضافاً إلى هذه الأمثلة، يسوق نصر حامد أبو زيد أمثلة أخرى وأدلة مبنية على منهج التفسير العقلي.

كذلك تناول هذا الموضوع البوطي الذي نقل الروايات التي تثبت هذه المسألة، ومن جملة ما نقل: أن أحمد بن حنبل فسر قوله تعالى: ﴿جَاءَ رَبُّكَ﴾

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

بمعنى «جاء أمر ربك» واستشهد بقوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ (النحل: ٣٣)^(٣٤)، أو ما نقله عن ابن حجر في فتح الباري وتفسير البغوي، من أن ابن عباس فسّر «استوى» في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥) بمعنى «ارتفع»، وفي رواية عن ابن بطال بمعنى «علا»^(٣٥)، وبعد وصفه لطريقة السلف بالتفويض وطريقة الخلف بالتأويل، يشير رشيد رضا إلى وجود من يتبع منهج التأويل من أئمة السلف وعلمائهم^(٣٦).

هـ) الظاهرية ردة فعل على الإفراطية العقلية

عادةً ما يكون في مقابل كلّ إفراطٍ تفريطٌ، فمن الأمور والمسائل التي تظافرت في نشأة الظاهرية وتثبيتها ودوامها، الفرق والأشخاص الذين عرفوا الدين بكونه ديناً عقلاً ودينياً وذلك بالاستناد والاحتجاج ببعض آيات القرآن الكريم، غير أن هذا التيار العقلي وقع في الإفراط، إمّا لأنه مرّر الاجتهاد الشخصي والقياس والرأي باسم العقل، أو لأنه استخدم أساليب خشنة وغير مقبولة في الترويج لهذا الخطّ؛ ممّا حدى بالظاهريين إلى نبذ المشرب العقلي والتوجّس منه، وفي مقابل ذلك، فإنّ إفراط «الحشوية» وأهل الحديث في قبول كلّ حديثٍ من الإسرائيليات والمجعولات دون الاعتناء بصحته وعدمها، أدّى بأهل الرأي - الذين شعروا بضيق حديث النبي - إلى التخلّي عن هذا الأصل والتوسّل بالرأي والقياس.

أبو حنيفة من الذين عارضوا الإفراط في المنهج العقلي الموجب لنتائج عكسية، ومن هنا فقد أضاف قواعد القياس والاستحسان والمصالح المرسلة التي تعود حقيقتها إلى العمل بالرأي، أضافها إلى مدارك الأحكام من الكتاب والسنة، وجاء بعد أبي حنيفة تلامذة مدرسته الذين غيروا الأحكام تحت

عنوان «الحيل الشرعية» إلى حدّ أحلّوا معه الكثير من المحرمات^(٣٧). قال ابن خلدون: «... بلغت رواية أبي حنيفة إلى سبعة عشر حديثاً...»^(٣٨)، وذلك بسبب تشدّده وشروطه في قبول الحديث، وفي ظرف عدم تدوين المجاميع الحديثية^(٣٩). هذا ويجب التدقيق والتأمل أكثر في كلام ابن خلدون. يقول الشهرستاني حول أسباب ظهور الفكر الحنبلي: «إعلم أنّ السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغّل المعتزلة في علم الكلام ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين ونصرهم جماعة من أمراء بني أمية على قولهم بالقدر وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات وخلق القرآن، تحيّرُوا في تقرير مذهب أهل السنّة والجماعة من أئمة السلف، فجزوا على منهاج السلف المتقدّمين عليهم من أصحاب الحديث مثل؛ مالك بن أنس، مقاتل بن سليمان، وسلكوا طريق السلامة فقالوا: نؤمّن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرّض للتأويل...»^(٤٠).

فما أشار إليه الشهرستاني بوضوح، هو أنّ ظهور أهل الحديث ومتابعتهم للسلف جاء نتيجة إفراط المعتزلة في عقائدهم العقلانية، من جهةٍ أخرى كانت عقائد المعتزلة تدوس على مشاعر عامّة الناس؛ كما في مسألة الشفاعة التي يقرأ الناس حولها المئات من الأحاديث ويستبشرون بها، لكن المعتزلة ينكرونها ويقولون: إنّ الشفاعة للتائبين وليس للعاصين^(٤١).

وعلاوةً على فكرهم الخاصّ، فإنّ سلوكهم وهم أقوياء وأصحاب نفوذٍ سياسيٍّ، جعل الكثير من العامّة ينفرون منهم، ففي حادثة حدوث القرآن وقدمه، كان المعتزلة يقولون بحدوث القرآن بينما كان أحمد بن حنبل يذهب إلى قدمه، وبما أنّ الخليفة المأمون كان على رأي المعتزلة، عمد إلى عزل القضاة

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

والمحدثين الذين يعتقدون بقدوم القرآن وحسبهم، وأقام محاكم التفتيش عن العقائد للأمر ذاته، فقد كتب المأمون كتاباً إلى إسحاق بن إبراهيم، كبير شرطة بغداد، يحثه على استجواب المحدثين بخصوص هذه المسألة، وقد فعل وأجبر مجموعة منهم على التوبة والتخلي عن عقائدهم، ومرةً أخرى قرأ كتاب المأمون على مجموعة من القضاة والمحدثين، وعندما وصلت النوبة إلى أحمد بن حنبل لإبراز عقيدته، لم يقل شيئاً، سوى أن القرآن كلام الله، وقد اكتفى أيضاً أنصاره بهذه الكلمة، ولكن في النهاية وبسبب تهديد المأمون، أطبق الجميع على حدوث القرآن ما عدا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، ثم قيّد هذان الشخصان بالحبال وأشخصا إلى محل إقامة الخليفة في طرطوس، غير أن المأمون كان قد وافته المنية قبل وصولهما، وفي هذه الأثناء أيضاً توفي محمد بن نوح، وقد تحمل أحمد بن حنبل التعذيب والآلام بسبب قوله بقدوم القرآن، لكنّه صبر وتحمل من أجل الثبات على عقيدته، وبعد ٢٨ شهراً من السجن والتنكيل أفرج عنه، وقد حاز لقب بطل الدفاع عن عقيدة قدم القرآن بعد أن توفي صاحبه في هذه العقيدة «محمد بن نوح» قبله، وأطلق على هذه الحادثة عنوان: «محنة أحمد»؛ المحنة التي نفخ فيها أهل الحديث وروجوا لها كثيراً^{٤٢} والتي انتهت إلى سقوط المعتزلة في نهاية المطاف.

كذلك يؤكّد البعض على أن ظهور الاخبارية التفرّيقية في مدرسة التشيع، يرتبط بردة الفعل على الدور الافراطي للعقلين في قمة نفوذهم؛ إذ بعد نقله لكلام صدر الدين الشيرازي في وصف مقطع من مقاطع العهد الصفوي، يشير علي حسين الجابري إلى ما ذكرناه آنفاً، يقول صدر الدين الشيرازي في وصف ذلك المقطع: «والعجب ممّا نرى منهم - المقصود الفقهاء

والمجتهدون المسكون بزمام الوضع الفكري في العهد الصفوي - أتهم يخوضون في المعقولات، بينما لا يعرفون المحسوسات، ويتحدثون في الإلهيات، بينما لا يعرفون الطبيعيات ... وهدفهم طلب الرئاسة والجاه والسلطة وإرجاع الناس إلى فتاواهم وحكومتهم ... هؤلاء يتخاصمون مع الحكماء بهذه العقول الناقصة والآراء السخيفة»^(٤٣) فيقول الجابري: «في هذه الظروف والملابسات التي أشار إليها الشيرازي، ظهر خطأ فكريٌّ محافظٌ كردّة فعلٍ ... وتسببت بعودة الفكر السلفي في القرن الأوّل من عمر الدولة الصفوية بصورةٍ جليةٍ، كما نلاحظ ذلك في نظريات وأفكار الحركة الأخبارية التي أصابها الاندثار والنسيان إلى أن أحيها ووضعها في حلة جديدة، محمد أمين الاسترابادي وتبعه خلقٌ كثير في ذلك»^(٤٤)، كما أشار إلى ذلك الوردي بقوله: «شهد العهد الصفوي بروز مسائل مستحدثة كثيرة لم تكن موجودة عند الشيعة الاثني عشرية، بل مصدرها الصوفية؛ ولذا فقد أحدثت تجاوزاتٍ في المنظومة المعرفية الشيعية بين الفكر الحر والمحافظ»^(٤٥).

٣. الخلفيات السياسية

أ) منع تدوين الحديث ونقله

يتقيد العلم عادةً بالكتابة والنشر، وهذا ما ورد عن النبي بنقول مختلفة: «قيدوا العلم بالكتابة»^(٤٦)، مضافاً إلى أن السنة والسيرة الشريفة للنبيّ الأكرم ﷺ تعجّ بالتأكيد على كتابة العلم والتي يطول الحديث عنها، يقول نور الدين عتر: «وردت أحاديث كثيرة تصل إلى حدّ التواتر على أن جماعة من الصحابة كانت تكتب الحديث في عهد رسول الله ﷺ»^(٤٧)، وقال عبد الله بن عمرو: «قلنا لرسول الله: إنّنا نسمع منك أشياء لانحفظها أفلا نكتبها؟ قال

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

رسول الله ﷺ: «بلا فاكْتُبوها»^(٤٨)، وجاء عنه أيضاً: «كنت أكتب كلَّ شيءٍ سمعته من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلَّ شيءٍ سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال: أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقٌّ»^(٤٩) ومن شواهد هذه المسألة منع عمر كتابة آخر ما أراد رسول الله ﷺ قوله^(٥٠).

استمرت هذه السياسة بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ، وأبو بكر أول خليفة يأمر رسمياً بمحو الحديث، إذ أحرق خمسمائة حديث سمعها عن رسول الله ﷺ وأصدر أوامره للآخرين بالسير على نهجه في إحراق الحديث، نعم شمل الإحراق عادة الأحاديث التي ليس فيها بُعدٌ عباديٌّ وعمليٌّ^(٥١).

والمانعون عن نقل الحديث وتدوينه، نسبوا أحاديث إلى رسول الله ﷺ بهذا الخصوص، نظير ما نقله أحمد بن حنبل في «أن رسول الله ﷺ نهى أن نكتب شيئاً من حديثه»^(٥٢)، أو الرواية التي ينقلها ابو هريرة عن رسول الله ﷺ ومضمونها في منع كتابة شيء في مقابل القرآن الكريم^(٥٣).
ترك منع نقل وتدوين الحديث آثاراً انعكست على مسألة النزعة الظاهرية، ومن هذه الإشارة:

١. ضياع مقدارٍ كبيرٍ من الأحاديث النبوية.

٢. وضع الأحاديث التي تخدم الخلفاء والسلطة الحاكمة.

٣. الاختلاف في الحديث.

٤. انتشار الإسرائيليات^(٥٤).

ومن الطبيعي أن شوق الناس لروايات النبي ﷺ من جانب، ومنع

تدوين الحديث ونقله من جانب آخر، شكل أرضيةً عند رفع المنع، لتمرير كلِّ نقلٍ بوصفه روايةً عن النبي ﷺ، وبما أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يعلمون الصحيح والسقيم من الحديث إلّا أنّهم لزموا بيوتهم وصار رجوع الناس إليهم قليلاً، واستطاعت السلطة الحاكمة تغطية سياساتها عبر تزوير الروايات التي تنسجم معها.

إنّ روايات تشبيه الله بخلقه، والروايات التي تؤيد سلطة بني أمية وتؤكد على عدم الخروج على السلطان الجائر، والروايات التي تثبت الجبر والروايات التي تنفي العصمة عن الأنبياء⁽⁵⁵⁾ والروايات التي تثبت حجية قول الخلفاء وقبول اجتهادهم في مقابل النصّ، كلُّ ذلك أدّى إلى ظهور التيار الظاهري.

ب) فصل القرآن عن العترة

أهمّ الآثار السلبية التي خلفها منع نقل الحديث، وهو العامل الأهمّ أيضاً في مسألة تبلور الظاهرية، هو فصل القرآن الكريم عن أهل البيت عليهم السلام؛ إذ حين يتمّ المنع عن تدوين الأحاديث غير العبادية، فمن الطبيعي أن يتعرّض استدلال أهل البيت عليهم السلام بالروايات المبنية على أحقيّتهم في الولاية ولزوم متابعتهم، إلى النسيان والتجاهل، مضافاً إلى أنّ الفريقين من السنة والشيعة قد نقلوا رواياتٍ مختلفةً في عظمة أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم، ومنها الحديث المتواتر: «إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً»⁽⁵⁶⁾، وهذه الرواية تصرّح بما لاشكّ فيه في أنّ التمسك بحبلين هما: «كتاب الله» و«عترة النبي الأكرم ﷺ» موجبٌ للنجاة من الضلال، غير أنّ شعار «حسبنا كتاب الله» والكذب على رسول الله ﷺ في رواية «بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا من حرام حرّمناه إلا

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله^(٥٧)، أحكم فكرة عدم الحاجة إلى السنة، فرغم سماع كل هذه التأكيدات من النبي ﷺ في حياته على الأمة الأطهار ﷺ، لكن قل من يقصدهم عند الاختلاف، من جهة أخرى، عقيدة عدم الحاجة إلى العترة والاكتفاء بكتاب الله أفرزت لازمين هما:

١. انفتاح باب الرأي والقياس والاستحسان وتغيير الكثير من

الأحكام.

٢. الجمود على ظواهر الآيات بسبب خوف المحتاطين ومخالفي

الرأي^(٥٨)؛ إذ ظهرت أقوال الظاهريين بشكل أكبر في التفسير؛ يقول المعتزلي القاضي عبد الجبار: (اختلف العلماء منذ القدم حول جواز تفسير القرآن بالرأي، فتشدت جماعة في ذلك ولم يروا جوازه لهم ولغيرهم، فلا يجوز تفسير القرآن - في نظرهم - لأي مخلوق مهما كان أديباً ومطلعاً على الأدلة والفقهاء والنحو، ويجوز له فقط نقل ما صدر عن النبي ﷺ بشأن ذلك)^(٥٩)، في حين أن عترة النبي ﷺ وضعوا أصولاً وقواعد في التفسير يؤدي اتباعها إلى تفسير صحيح للقرآن، وبصورة عامة يمكن لنا أن نلمح الخطوط العامة للنهج التفسيري لأهل البيت ﷺ المأخوذة من الرسول الأكرم ﷺ في الموارد التالية:

١. تنزيه الله عن التجسيم والتعطيل.

٢. تنزيه الأنبياء عن المعاصي مطلقاً.

٣. استحالة رؤية الله مطلقاً.

٤. الهداية من الله والضلالة من الإنسان.

٥. لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين.

٦. تفسير القرآن بالقرآن^(٦٠).



ج) الإسرائيليات

الإسرائيليات واحدةٌ من مصائب منع نقل حديث النبي الأكرم ﷺ والتي قام بوضعها اليهود والمسيحيون الداخلون للإسلام حديثاً؛ وقد لعبت هذه الروايات المدسوسة دوراً كبيراً في الجمود على ظواهر القرآن، ومن جانب آخر، لو فرضنا التمسك بعتره أهل البيت ﷺ فإنه حتى مع وجود الروايات الإسرائيلية لم تكن لتؤدّي دوراً هاماً في حرف الناس في مسألة تفسير القرآن؛ لأن الأئمة الأطهار وأصحابهم المخلصين كانوا يبطلون مثل هذه الروايات ويطردون رواياتها؛ إذ بمسح مجمل بين التفاسير المأثورة عن مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت ﷺ، يمكن ملاحظة كثرة الروايات الإسرائيلية في مدرسة الخلفاء وندرتها وقلتها في تفاسير مدرسة أهل البيت ﷺ، وهذه القلة أيضاً وجودها راجعٌ إلى غفلة الناقلين والمفسرين، يقول الأستاذ محمد جواد شري: «كل من يقرأ كتب الأحاديث التي كتبها علماء الشيعة، لا يرى روايةً منتهيةً إلى كعب الأخبار أو وهب بن منبه أو إسرائيلي آخر، وحتى لو كان هناك القليل فهو مأخوذاً من كتب علماء السنة»^(٦١).

الروايات الإسرائيلية تشمل عادةً المتشابهات وتفصيل القصص القرآني؛ فالمتشابهات من قبيل مسألة الصفات الخبرية لله ومسألة الرؤية والخبير والتفويض والاختيار والقضاء والقدر وقدم كلام الله، وأمّا في بحث القصص القرآني فعادةً ما تنقل تفاصيل جزئيات وحوادث من قصص الأنبياء توحى بعدم عصمتهم، وعلى المستوى السياسي والسلطوي أيضاً، فإن منع تدوين الحديث، أضاف قداسةً ومشروعيةً للخلفاء والخلافة عن طريق جعل

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

الروايات الموجبة لحجية قولهم واتباعهم دون الاعتراض عليهم، وهذه المسألة كان لها الدور الرئيسي في الهروب من العقل والتسليم والتعبد بأقوالهم، وإليك بعض الأبعاد التي اتصفت بها الإسرائيليات:

١. الإسرائيليات ومسألة التجسيم: بنظرة عامة إلى كتابي العهد القديم والجديد، سيّضح بجلاء فكرة التشبيه والتجسيم في هذين الكتابين، فعلى سبيل المثال، جاء حول مشي الله في «سفر التكوين» الباب الثالث من العهد العتيق: «وسمعا (آدم وحواء) صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار»^(٦٢) وورد في سفر التكوين أيضاً «الله يتصف بصفة الحزن والتأسف»^(٦٣) وفي «سفر اشعيا»: «جلوس الله فوق الأرض»^(٦٤) وجاء في «سفر أرميا»: «أنه عزّ وجلّ يتصف بصفة لمس الأشياء»^(٦٥) وهناك الكثير من الموارد التي تحتاج إلى تفصيل أكثر.

٢. مسألة الجبر والتقدير وإضفاء المشروعية على حكومة الخلفاء: كان المسلمون البسطاء يعتقدون بوجود إخبارات كثيرة تخصّ المسلمين في كتب أهل الكتاب، ممّا جعل الخلفاء يستغلّون هذه المسألة كمال الاستغلال لما لها من إضفاء المشروعية على حكوماتهم، مضافاً إلى طرح مسألة القضاء والقدر في تعيين الخليفة^(٦٦)، نقلوا أنّ معاوية كان طامعاً بالخلافة من حين أرسل عليه عثمان وآخرين للتشاور في التعامل مع المعارضين، وفي موسم الحجّ سمع معاوية الحادي يحدو بعثمان فيقول: «أنّ الأمير بعده علي وفي الزبير خلف رضي»، فقال كعب الأحبار للحادي: كذبت، فإنّ معاوية هو الخليفة بعد عثمان، فوصل الخبر إلى معاوية، فسأله عن ذلك: فقال: نعم ستكون الأمير بعد عثمان، وقد وقع هذا في قلب معاوية^(٦٧)، ويُنقل عن وهب بن منبه في أنّه

كان يروج لفكرة أن الحكومة تقدير على أفعال الإنسان^(٦٨)، إذ ينقل حماد بن مسلمة عن أبي سنان قال: سمعت وهباً يقول: «كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعةً وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء، في كلِّها: من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر»^(٦٩)، وروى ابن عباس أن عمر قال لكعب الأحبار: (إني قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الأمر وأظنّ وفاتي قد دنت، فما تقول في علي ... واذكري ما تجدونه عندكم فإنكم تزعمون أن أمرنا هذا مسطور في كتبكم. فقال: أمّا من طريق الرأي فإنه لا يصلح، إنّه رجل متين الدين ... لا يغضي على عورة ولا يحلم عن زلة ... فقال عمر: فألى من يفضي الأمر تجدونه عندكم؟ قال كعب الأحبار: نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه إلى أعدائه^{(٧٠)(٧١)}، ومن الأحاديث التي نقلها أبو هريرة عن النبي ﷺ قوله: «إن لكلّ نبيّ خليلاً من أمته وإنّ خليلي عثمان بن عفان»^(٧٢)، فيما الذهبي في ميزان الاعتدال أورد هذا الحديث في ذيل ترجمة «إسحاق» وحكم بطلانه القطعي^(٧٣).

وكما نرى أنّ المنقولات الإسرائيلية لعبت دوراً متعمداً في منع وصول الخلافة لأهل البيت عليهم السلام، وبخاصّة في الآيات الموهمة للقضاء الحتمي والجبر في أفعال الإنسان؛ إذ تؤثر مثل هذه الروايات تأثيراً مباشراً في فهم هذا القسم من الآيات فهماً مبنياً على الجبر والتعاس والخمول.

٣. الإسرائيليات وجعل الحديث ونشر الفضائل لصالح الخلفاء: عمد ناقلو الإسرائيليات إلى اختلاق الأحاديث في فضائل الخلفاء في إطار سياسة إضفاء المشروعية لحكومات الخلفاء الراشدين وبني أمية؛ ومن أجل التزلّف لهم والتقرب منهم، مضافاً إلى أنّ نشر مثل هذه الفضائل يعطي نوعاً من

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

القدسية للخلفاء الظالمين ويلمّع صورتهم، وفي نهاية المطاف تكون أقوالهم وأفعالهم حجة في المعارف الدينية والشؤون الحكومية؛ حينما جرح عمر بضربة أبي لؤلؤة، قال كعب «لئن سأل عمر ربه ليُتيقنه الله»^(٧٤)، واعتبر وهب بن منبه عمر بن عبد العزيز «مهديّ الأمة»^(٧٥)، وقال خالد بن ربيعي: «إنّا نجد في التوراة أنّ السموات والأرض تبكي على عمر بن العزيز أربعين يوماً»^(٧٦)، ويمكن ملاحظة أصابع نقلة الروايات الإسرائيلية في كتب الحديث المشهورة لأهل السنّة وخصوصاً ما يقع منها تحت عنوان (موافقات عمر لله أو الملائكة)؛ فمنها ما نقله البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر والذي أشار فيه إلى تحديث الملائكة لعمر، الذي نقله أبو هريرة أيضاً^(٧٧)، ويقول أبو هريرة في فضائل معاوية: (إنّ الله ائتمن على وحيه ثلاثة: أنا وجبرئيل ومعاوية)^(٧٨)، ومن الطريف أنّ أبا هريرة نفسه يعترف بجعل الأحاديث، روى أحمد بن حنبل في مسنده: (روى أبو هريرة حديثاً، فقال له الحاضرون: هذا الحديث من رسول الله أم منك؟ قال: مني)^(٧٩).

٤. دور الإسرائيليات في صياغة أفكار الصحابة: كان للإسرائيليات دورٌ محوريٌّ في صياغة الفكر الديني والحكومي والتنفيذي لبعض الصحابة، بل إنّ السبب في انتشار الإسرائيليات بين المسلمين هو بعض هؤلاء الخلفاء والصحابة الذين أعطوا الإذن في نقل تلك الإسرائيليات في ظرف منع تدوين الحديث ونقله، حتّى قيل بأنّ فكرة منع كتابة الحديث جاء بها عمر من الروايات والتعاليم الإسرائيلية^(٨٠)، جمع عمر ما كتبه الآخرون من أحاديث وعمد إلى إحراقها وقال: «أمنيةٌ كأمنية أهل الكتاب»^(٨١)، يقصد بأنّ جمع الحديث تحريبٌ للدين كما خرّبه أهل الكتاب، سأل عمر بن الخطاب كعب

الأخبار: ما المقصود من "عدن" في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي...﴾ فقال كعب: قصورٌ من ذهبٍ في الجنة يسكنها النبيون والصدّيقون وأئمة العدل...»^(٨٢)، وينقل ابن عباس: «كنا يوماً عند معاوية فقرأ قوله ﴿وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ فقال: فقال ابن عباس: (إِنَّمَا عَيْنٌ حَمِئَةٌ)، فاحتكم معاوية إلى عبد الله بن عمر بن العاص، فأيد قول معاوية، فقلت: نزل القرآن في بيتنا»^(٨٣)، وقال أحد صحابة النبي: «صلى النبي صلاة العصر فلما فرغ منها، قام رجل يريد أن يصلي، فأمسكه عمر وقال له: إجلس، إِنَّمَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَصَلَاتِهِمْ فَصَلَّ»^(٨٤)، ومن الطريف إلى جانب هذه الأفكار، يتم العمل على منع كتابة الحديث، يقول أبو هريرة: (ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله حتى قبض عمر)^(٨٥)، وهناك أدلة تاريخية وروائية كثيرة على ارتباط بعض الخلفاء فكرياً مع أهل الكتاب، لا يسمح البحث ببيانها واستعراضها^(٨٦)، والنقطة المهمة هنا هي أن عمر المتأثر بأهل الكتاب تأثراً لافتاً، قد وبّخه النبي ﷺ في حياته من النظر في روايات أهل الكتاب^(٨٧)، لكنّه لم يعبأ واستمرّ بعد وفاة النبي ﷺ على هذه الحالة حتى وصل الأمر به إلى أنّه أعطى مقام الإفتاء والتفسير لأهل الكتاب، وأمّا الأسباب التي تقف خلف تأثر بعض الصحابة بالإسرائيليات فذلك يحتاج إلى بحثٍ وتحقيقٍ.

٥. الإسرائيليات والطعن بعصمة الأنبياء: لم تتورّع كتب التوراة والإنجيل المحرّفة في نسبة الصغائر والكبائر للأنبياء، كما نقل رواة الإسرائيليات أيضاً الأحاديث التي تطعن بالأنبياء خصوصاً وأنّ ظواهر القرآن موهمة بعدم عصمتهم، وعلى هذا المنوال، نقل أهل الظاهر - الذين يجمدون على ظواهر الآيات الكريمة - تلك الروايات^(٨٨).

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

إن انتشار الإسرائيليات التي تروج لعدم عصمة الأنبياء كانت سياسةً مدروسةً من الخلفاء وخصوصاً خلفاء بني أمية منهم، فإن تبرير ارتكابهم للصغائر والكبائر من جهة وحفظ مشروعاتهم وقدسيتهم من جهةٍ أخرى، جعلهم يعمدون إلى إظهار هذا القسم من الروايات الإسرائيلية؛ وقد حاولوا بصنيعهم هذا، محو فكرة أن القائد والحاكم الإسلامي يجب أن يكون مبرراً عن الذنوب وعن كل ما يقدر بعدالته، وقد استطاعوا تمرير سياساتهم عبر هذا الطريق؛ لأن الروايات الإسرائيلية نسبت أقبح الأفعال وأشنعها إلى الأنبياء، فعندما يرتكب مثل هؤلاء تلك الأفعال (والعياذ بالله)، فإن اللوم مرفوع عن خلفاء بني أمية في ارتكابهم للموبقات.

موقف أهل البيت عليهم السلام والصحابة العدول من الإسرائيليات

مرّ علينا توبيخ النبي صلى الله عليه وآله لعمر على إعجابه بالروايات الإسرائيلية، وقد نقل أرباب السير عن علي عليه السلام قوله في كعب: «إنه لكذاب»^(٨٩).

يقول علي عليه السلام حول قصة داوود المكذوبة مع زوجة أوريا: «لو أوتي برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا الاجلدته حدّين حداً للنسوة وحداً للإسلام»^(٩٠).

ويقول الإمام الرضا عليه السلام حول هذه القصة المنحولة حينما سئل عنها: «إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله صلى الله عليه وآله إلى التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل...»^(٩١)، وكان هذا موقف سائر الأئمة عليهم السلام من الإسرائيليات، وكان أيضاً الموقف ذاته من أصحاب الأئمة والصحابة العدول، روي عن عبد الله بن عباس: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه أحدث الأخبار...»^(٩٢).

ونُقل عن أبي ذر موقفه الشجاع من كعب الأخبار: «كان أبو ذر حاضراً ذات يوم في مجلس عثمان، فنظر عثمان إلى كعب الأخبار فقال له: يا أبا اسحاق ماتقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة عليه هل يجب عليه فيما بعد ذلك فقال: لا... فدفَع أبو ذر في صدر كعب وقال: كذبت يابن ثمّ تلا: ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر... (البقرة: ١٧٧)»^(٩٣) ثمّ سأل عثمان كعباً سؤالاً آخر، فأجاب خطأً، فرفع أبو ذر العصا فدفَع بها صدر كعب وقال: يابن اليهودي ما أجراك على القول في ديننا^(٩٤).

وقد بلغ حذيفة يوماً أنّ كعباً يقول أنّ السماء تدور على قطبٍ كالرحى فقال حذيفة: كذب كعبٌ أنّ الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (فاطر: ٤١)^(٩٥).

وهذا هو الموقف ذاته من بقية صحابة الأئمة المخلصين الذين سمعوا بقلوبهم حديث «إني تاركٌ فيكم الثقلين...».

٤. الخلفيات البيئية

مراجعة التاريخ تثبت أنّ للبيئة دوراً أساسياً في تبلور النزعة العقلية والنزعة الظاهرية، وهذا الدور قد يتجسّد في العامل الثقافي والسياسي والاجتماعي.

أ) البيئة الثقافية

لم يكن هناك حاجةٌ للبحث في مفاهيم القرآن وآياته، ما دام القرآن نزل في بيئةٍ غير معقّدةٍ وبعيدةٍ عن العلم والمعرفة، ولكن بمرور الزمان وبسبب خصائص المجتمع الإسلامي الجديدة التي ظهرت نتيجة الفتوحات ودخول العلوم الجديدة إلى العالم الإسلامي، فلم تعد النظرة السطحية كافيةً في الإجابة

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

على المسائل، وبناءً على ذلك فإنَّ التحوُّل من مناخٍ علميٍّ ساذجٍ إلى مناخٍ علميٍّ معقدٍ يستلزم نوعاً من النظر المعمق في مقتضيات الزمان والمكان، هذا وإنَّ أحد أسباب تقسيم العلماء السابقين إلى فريقين: «أهل الحديث» و«أهل الرأي» هو الارتدادات البيئية التي جلبت تلك الأفكار، حيث وُجدت مدرسة أهل الحديث في مكة والمدينة وقد امتازت بخصائص منها: وجود كمٍ هائلٍ من السنن والآثار والأحكام وفتاوى الصحابة، والابتعاد عن الرأي والاجتهاد بسبب قلّة وقوع الحوادث في هذه البلدان، والتأثر بتجنب الصحابة لذلك^(٩٦)، وأمّا مدرسة الرأي التي ظهرت في بيئة العراق فإنَّ خصائصها بالضدّ من مدرسة الحجاز، فإنَّها مهتدٌ لحضاراتٍ قديمةٍ وثقافاتٍ مختلفةٍ وحياةٍ متجددةٍ ووقائعٍ كثيرةٍ تختلف عن وقائع الحجاز التي تمتاز بالبداءة، ومن جهةٍ أخرى، كانت الأحاديث التي بأيدي العراقيين والتي كانت يمكن الاستناد إليها في نظرهم قليلةً؛ لأنَّهم يحتاطون بسبب انتشار الأحاديث المجعولة، ولكون علماء هذه المنطقة متأثرين بشخصياتٍ مثل عبد الله بن مسعود الذي يرجح الرأي والنظر^(٩٧) وفي الأدوار اللاحقة أيضاً كان للبيئة والحاضنة الثقافية تأثيراً على تمظهر النزعة الظاهرية.

يبقى هناك سؤالٌ يجدر الإجابة عليه وهو: لماذا لم ينجح ابن تيمية في دعوته في زمانه ولم يتبعه سوى القلائل ولم يحدث تياراً في العالم الإسلامي، بينما تلميذه محمد بن عبد الوهاب نجح في ذلك في عصره؟

والجواب هو للتفاوت الموجود في المحيط العلمي والثقافي الذي عاصره كلُّ واحدٍ منهما، فقد بذر ابن تيمية بذرته في بيئة مليئةً بالعلماء المسلمين الذين كان باستطاعة كلِّ واحدٍ منهم إبطال دعوته، لأنَّ الشام ومصر آنذاك كانتا من أكبر المراكز الإسلامية التي كان يعيش فيها المحققون والمتكلمون البارزون،

ولكن محمد بن عبد الوهاب عاش بين الأعراب والبدو الذين كانوا بعيدين عن العلم ولم يكن لديهم أدنى معرفة بالشرك والتوحيد، وكانوا تحت نير سلطة آل سعود، والشيخ^(٩٨).

الملا أمين الاسترابادي أيضاً كتب (الفوائد المدنية) الذي يشكّل مرآة لفكره في المدينة المنورة حيث كان على مشرب الحديث وشاجباً للعقل^(٩٩)، ومن هنا، فلا يمكن اغفال البيئة الثقافية بوصفها عاملاً مؤثراً في صياغة هذا الفكر.

ب) البيئة الاجتماعية والسياسية

يُبحث في دور البيئة الاجتماعية والسياسية، الخصوصيات الفكرية للسلطين والحاكمين، والحوادث السياسية والاجتماعية التي وقعت في المجتمع الإسلامي؛ لكي يتضح علاقة هذا العامل مع النزعة الظاهرية. إنَّ النزوع العقلي ورفض العقل تتبعان فكر الحاكم المتسلط على المجتمع الإسلامي، فالحاكم المتحرّر فكرياً، يفتح المجال أمام الفكر والعلم والعقل، والحاكم المتحجر والجامد فكرياً، لا يقبل كلام خصومه في السياسة والفكر، ويمنع النشاط الفكري خوفاً من ظهور معارضين، وحوادث التاريخ خير شاهدٍ على ذلك.

أغلق أبو بكر وعمر وعثمان باب البحث والتعقل في القرآن الكريم والسنة النبوية عند أهل السنة من خلال منع تدوين الحديث ونقله، فقد مهدوا الطريق لظهور الاجتهاد والرأي غير المستند إلى المنطق والمبني على القياس والاستحسان من جهة، وتسببوا في ظهور فرقٍ ومجاميع تعتبر كلِّ نوعٍ من أعمال النظر والرأي في المسائل الدينية حراماً وبدعةً، بينما نرى أنَّ أساس حكومة عليّ عليه السلام المناظرة والمجادلة والتي هي أحسن^(١٠٠).

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

ونلاحظ هذه المسألة في زمان بني أمية؛ إذ لم يكن خلفاء بني أمية عادةً أهل منطقٍ واستدلالٍ وحرية فكر، بل هذه المفاهيم لم تكن تنسجم مع أسس حكوماتهم؛ ولذا فقد توسلوا بنظرية الجبر في الخلافة، حيث لاقت هذه النظرية مقبوليةً منذ عهد معاوية بن أبي سفيان إلى حكومة مروانين^(١٠١)، غير أن (سليمان) وهو من خلفاء بني أمية كان يميل إلى السلام والليونة، لذا قرب العلماء والفقهاء وأفاد من فكرهم^(١٠٢).

والمعتزلة المعروفون بالنزعة العقلية، لم تكن تربطهم علاقات طيبة مع بني أمية في زمان حكومتهم^(١٠٣)، وهذا الأمر طبيعيٌّ وكان معهوداً في أوائل حكومة بني العباس، فلم يكن للمعتزلة نشاطٌ في زمن الهارون العباسي، إلا أن نجمهم سطع في عصر المأمون الذي كان متعلماً متعلّلاً ومن أصحاب المنطق^(١٠٤)، واستمرّ ربيعهم في زمن المعتصم والواثق بالله، إلى أن جاء المتوكل الذي كان بطبعه لا يميل إلى البحث، فأوقف سلاح المعتزلة وهو النقاش والجدال والمناظرة ومنعه، وبذلك غربت شمسهم الساطعة^(١٠٥).

ولا يمكن الفصل بين الحركة الاخبارية والمسائل السياسية والاجتماعية الموجودة في العصر الصفوي إلى درجة يتصور البعض بأن سبب ظهور الحركة الاخبارية يعود إلى سلوك المجتهدين الافراطي وأفعالهم^(١٠٦)، كذلك الحال في الحركة السلفية التي ظهرت في القرون الأخيرة تحت عنوان الوهابية، فلا يمكن اغفال دور الغطاء السياسي لها، فمحمّد بن عبد الوهاب وقبل نجاح دعوته وانتشارها في (الدرعية)، كان قد فشل في (العينيه) و(الحريملة)، لكن الدعم المالي له من أمير الدرعية محمد بن سعود وقدرته العسكرية، ساعد في انتشار دعوته، وبقي هذا الدعم للوهابية مستمراً إلى يومنا هذا^(١٠٧).

الهوامش

- (١) ذكر صاحب ناصر خسرو قبادياني في كتابه "وجه الدين" نماذج كثيرة عن التأويل غير المنضبط.
- (٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتب العربية، ١٩٩٦م، ط ١٠: ٢٤٣.
- (٣) ابن عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم، دار ابن الجوزي، ١٤١٦، ٢: ٢٤٣.
- (٤) شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود في شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، ٤: ٤٢٩.
- (٥) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار القلم ١: ٢٥٦.
- (٦) جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل، الدار الإسلامية، ط ٢، ٣: ١١٢.
- (٧) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ترجمة: محمد جواد مشكور، منشورات اشراقي، ط ٣: ١٥٣.
- (٨) أبو الحسن الأشعري، الابانة عن أصول الديانة، داء النفاث: ٩٧.
- (٩) جمال الدين في محاسن التأويل، ذيل الآية ٢١٠ من سورة البقرة، محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، ذيل الآية ٥٤ من سورة الاعراف، وسارت على هذا المنوال في تفسير الآيات المتشابهة كل من التفاسير: تفسير الأساس في التفسير، سعيد حوى، تفسير تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي.
- (١٠) راجع: الفرق بين الفرق، البغدادي، الملل والنحل، الشهرستاني، مقالات الإسلاميين، الأشعري، كتاب التوحيد، أبو منصور الماتريدي.
- (١١) راجع: الفرق بين الفرق، البغدادي: ٣٦-٣٩، فهنك فرق اسلامي "ثقافة الفرق الإسلامية"، مشكور: ٤٦٥-٤٦٦. غاليلان "الغلاة"، نعمة الله صفري فروشاني.
- (١٢) مرتضى مطهري، تكامل اجتماعي انسان "تكامل الانسان الاجتماعي"، منشورات صدرا، نقلاً عن عدة الأصول.

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

- (١٣) ترجمة تفسير الميزان، ط ٥، بنياد فرهنگ و فكري علامه طباطبائي " مؤسسة العلامة الطباطبائي الفكرية والعلمية، ١٠ : ٤١٨، مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط ٤، ٦ : ٢٠٧.
- (١٤) مرتضى مطهري، اشنايي باعلوم إسلامي " لمحة في العلوم الإسلامية " منشورات صدرا: ١٦٨.
- (١٥) غاليان " الغلاة "، نعمة الله صفري فروشاني، مؤسسة استانه قدس، ونقلًا عن: عبد الله السامرائي في كتابه: الغلو والفرق في الحضارة الإسلامية: ٤٢.
- (١٦) جمود و خمود، علي اسفندياري، باز للنشر: ٨٠، نقلًا عن: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ : ٢٨١-٢٨٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ : ٣٤١-٣٤٢.
- (١٧) البداية والنهاية، ابن كثير، دار احياء التراث العربي، ط ٧، ١٤ : ١٥٦.
- (١٨) تفسير موضوعي قران كريم " التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، عبد الله جوادي املي، مؤسسة اسراء ١٣ : ٤٢.
- (١٩) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد التميمي الامدي، منشورات انصارين، ترجمة وتنظيم: السيد حسين شيخ الإسلام ١ : ٢١٨.
- (٢٠) الاحتجاج، احمد بن علي الطبرسي، تصحيح ابراهيم بهادري، منشورات اسوة: ١٨٨، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ : ٢٧٥.
- (٢١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي ٢٥ : ٤٢٦.
- (٢٢) انظر: مناظرات الامام الفخر الرازي حول مذاهب اهل السنة، ترجمة يوسف فضائي: ٢٠٧.
- (٢٣) الإسلام في ايران، بطروشفسكي، ترجمة: كريم كشاورز: ١٤٩، مناظرات الامام الفخر الرازي: ٢٠٨-٢٠٩.
- (٢٤) وقعة صفين، نصر بن مزاحم: ٥١٣-٥١٤.
- (٢٥) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي ٢٥ : ٤٣٣.

- (٢٦) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية، علي حسين الجابري: ١٧، للاطلاع الدقيق على هذا الموضوع راجع: معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس ٣: ٩٥، انساب المعاني، ذيل كلمة سلف، النهاية في غريب الحديث والاثر، ابن الاثير ٢: ٣٩٠، السلفية، بدعة أم مذهب، محمد سعيد رمضان البوطي: ١٩.
- (٢٧) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية: ١٥٤.
- (٢٨) التفسير الكبير، ابن تيمية، دار الكتب العلمية ٢: ١٢٨.
- (٢٩) المصدر السابق: ١٣٥-١٣٦.
- (٣٠) تفسير المنار، محمد رضا رشيد، بيروت، دار الفكر ١: ٢٥٢.
- (٣١) الاتجاه العقلي في التفسير، نصر حامد ابو زيد، دار التنوير: ١٥٤، نقلاً عن: مجاز القرآن، ابو عبيده معمر بن مثنى ٢: ١٩٠.
- (٣٢) المصدر السابق نقلاً عن: مجاز القرآن ٢: ٢٩٠.
- (٣٣) المصدر السابق نقلاً عن: جامع البيان، الطبري ٢: ٣٦٢.
- (٣٤) السلفية، بدعة ام مذهب، ترجمة حسين صابري، منشورات استان قدس، نقلاً عن: الاسماء والصفات، البيهقي: ١٥٤-٢٩٢.
- (٣٥) السلفية بدعة ام مذهب: ١٥٦، نقلاً عن: فتح الباري ١٣: ٣١٥، تفسير البغوي في ذيل الآية ٥ من سورة طه.
- (٣٦) تفسير المنار: ١: ٢٥٢-٢٥٣.
- (٣٧) نقش ائمة در احياء دين " دور الائمة في احياء الدين"، مرتضى العسكري، دار احياء التراث العربي، ١٠: ٢٠-٢٢. تاريخ المعتزلة، محمد جعفر جعفري اللنكرودي: ١٥.
- (٣٨) فوهنك فرق اسلامي " ثقافة الفرق الاسلامية"، محمد جواد مشكور، منشورات استان قدس، ط ١٧٠: ٣-١٧١.
- (٣٩) دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ترجمه احمد باكتجي، مركز دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ٥: ٣٩٥.
- (٤٠) الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل: ١٠٢.

جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

- (٤١) فرهنك عقائد ومذاهب إسلامي، "ثقافة وعقائد المذاهب الإسلامية"، مؤسسة الإمام الصادق، ٤: ١٨٤-٢٤١.
- (٤٢) بشين، "السلف"، احمد باكتجي ١: ٧١٩-٧٢٠.
- (٤٣) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية: ٢٧٩.
- (٤٤) المصدر السابق.
- (٤٥) المصدر السابق: ٢٥٦، نقلاً عن: لمحات اجتماعية، علي الوردي ١: ٥٧-٦١.
- (٤٦) مجلة علوم حديث، ٢: ١٦، محمد علي مهدي راد، نقلاً عن: تقييد العلم: ٦٩.
- (٤٧) المصدر السابق: ٩١، نقلاً عن منهج النقد في علوم الحديث.
- (٤٨) المصدر السابق: ١٧، نقلاً عن: تقييد العلم، مجلة معرفت العدد ٧٣: ٥٢، محاسن الاصطلاح: ٣٦٦.
- (٤٩) المصدر السابق: ١٧، نقلاً عن تقييد العلم: ٨١-٨٨، المستدرك على الصحيحين، ١: ٦١٠٦، مسند احمد بن حنبل ٢: ١٦٢.
- (٥٠) نقش ائمة در احياء دين " دور الائمة في احياء الدين " ١٤: ١٩١-٢٠٦.
- (٥١) المصدر السابق ٨: ١٠٧، نقلاً عن: البداية والنهاية ٨: ١٠٧.
- (٥٢) موسوعة طبقات الفقهاء، جعفر السبحاني، القسم الأول: ٨٧، نقلاً عن: مسند احمد بن حنبل ٥: ١٨٢.
- (٥٣) المصدر السابق: ٨٧، نقلاً عن: مسند احمد بن حنبل ٣: ١٢.
- (٥٤) تدوين السنة الشريفة، محمد رضا حسيني جلالى: ٥٠٤-٥٣٣، فرهنك عقائد ومذاهب اسلامي ١: ٩١-٩٦.
- (٥٥) نقش ائمة در احياء دين ١٠: ١٠ وما بعدها.
- (٥٦) المصدر السابق ١١: ٦٩.
- (٥٧) فجر الإسلام، احمد امين: ٢٤٥.
- (٥٨) قامت هاتان المدرستان بوضع الأحاديث التي تؤيد توجهها، أشار إلى ذلك أحمد أمين

- في فجر الإسلام: ٢٤٥.
- (٥٩) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ١: ٢٥٧ نقلاً عن: المطاعن للقاضي عبد الجبار المعتزلي: ٤٢٢.
- (٦٠) البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني البحراني، مؤسسة البعثة، ج ١، مقدمة لمحمد مهدي الآصفي، بحث الخطوط والاتجاهات العامة في التفسير عند أهل البيت عليه السلام: ١٩٧٣، والروايات المرتبطة بهذا الشأن موجودة في كل خط من الخطوط المشار إليها.
- (٦١) شيعه وتهمت هاي ناروا" الشيعة والتهم المزيفة"، محمد جواد شري، ترجمة محمد رضا عطائي، ط ٢، مؤسسة ومنشورات استان قدس: ٥٧.
- (٦٢) العهد العتيق، سفر التكوين الباب ٣، الفقرة ٨-٩: ٣.
- (٦٣) المصدر السابق، الباب ٦، الفقرة ٥-٦: ٥.
- (٦٤) المصدر السابق، أشعياء، الباب ٤٠، الفقرة ٢٣: ٦٧٣.
- (٦٥) المصدر السابق، سفر ارميا، الباب ١، الفقرة ١٠: ٦٩٦.
- (٦٦) تاريخ سياسي إسلام، منشورات وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، ٢: ٧٣٥-٧٣٦.
- (٦٧) المصدر السابق: ٧٣٦، نقلاً عن: تاريخ الطبري ٤: ٣٤٣.
- (٦٨) فوهنك عقايد ومذاهب إسلامي ١: ١١٢.
- (٦٩) المصدر السابق.
- (٧٠) شيعه وتهمت هاي ناروا: ٦٦-٦٧، نقلاً عن: شرح نهج البلاغة، امالي ابو جعفر محمد بن حبيب.
- (٧١) إن ما ظنه عمر في تنبؤات كعب عن مستقبل الخلافة في الواقع هو رواية رواها نفس عمر عن رسول الله، حينما قال: " اني رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القرده... "، ولم يلتفت عمر الى ذلك بل صارت

الاسرائيليات مرجعه.

(٧٢) أبو هريرة، الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، منشورات انصاريان:

٣١.

(٧٣) المصدر السابق.

(٧٤) نقش أئمة در احياء دين ٦: ١١٠، نقلاً عن: الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٧.

(٧٥) تاريخ سياسي إسلام ٢: ٧٣٦، نقلاً عن: السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٣٣.

(٧٦) المصدر السابق ٢: ٧٣٦، نقلاً عن: تاريخ الخلفاء: ٢٤٥.

(٧٧) ابو هريرة: ١٤١، نقلاً عن: صحيح البخاري ٢: ١٩٤.

(٧٨) المصدر السابق: ٣٨.

(٧٩) نقش أئمة در احياء دين ١٢: ٢٩-٣٠، نقلاً عن: أحمد بن حنبل ٢: ٢٥٢.

(٨٠) تاريخ سياسي إسلام ٢: ٩٧، نقلاً عن: بحوث مع أهل السنة والسلفية: ٩٧.

(٨١) المصدر السابق، ٢: ٩٧، نقلاً عن: تقييد الإسلام: ٥٢.

(٨٢) نقش أئمة در احياء دين ٦: ٢٩-٣٠، نقلاً عن تفسير القرطبي ١٥: ٢٩٥.

(٨٣) المصدر السابق ٦: ١١١، نقلاً عن الدر المنثور ٤: ٢٤٨.

(٨٤) تاريخ سياسي إسلام ٢: ٩٧، نقلاً عن: اسد الغابة ٥: ١٩٩.

(٨٥) البداية والنهاية، ابن الاثير ٨: ١١٥.

(٨٦) نقشه أئمة در احياء دين ٦: ١١٠-١١٧.

(٨٧) وقصة جلب عمر لنسخة من التوراة وتقديمها للنبي وغضب النبي عليه مشهورة،

اذ قال: "لو كان موسى حياً ما وسعه الا أن يتبعني" رك: نقش ائمة در احياء دين، ٣:

٣٨٧، نقلاً عن: مسند احمد بن حنبل ٣: ٣٨٧، سنن الدارمي ٢: ١١٥.

(٨٨) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد محمد ابو شبيهه: ١٥٩ وما

بعدها، الاسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي: ١١٧ وما بعدها،

اسرائيليات القران، محمد جواد مغنیه: ٤٨ وما بعدها، الاسرائيليات واثرها في كتب

التفسير، رمزي نعنانه.

- (٨٩) اضواء على السنة المحمدية، محمود ابو ريه، دار الكتب الإسلامية: ١٦٥.
- (٩٠) مجمع البيان، فضل بن حسن الطبرسي ٨: ٣٥٤.
- (٩١) تفسير الصافي، محسن فيض كاشاني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ٤: ٢٩٥.
- (٩٢) شيعه وتهمت هاي ناروا: ٧٢-٧٣.
- (٩٣) نقش أئمة در احياء دين ١٤: ١٦٠-١٦١، نقلاً عن مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٤٠.
- (٩٤) المصدر السابق.
- (٩٥) اضواء على السنة المحمدية: ١٦٥.
- (٩٦) خاستگاه هاي اختلاف در فقه مذاهب " مناشئ الاختلاف بين المذاهب"، مصطفى ابراهيم الزمي، ترجمة: حسين صابري، منشورات استانه قدس رضوي: ٤١٧-٤١٨، موسوعة طبقات الفقهاء، مقدمة القسم الثاني: ٥١-٥٢.
- (٩٧) المصدر السابق: ٤١٩، موسوعة طبقات الفقهاء، مقدمة القسم الثاني: ٥١-٥٢.
- (٩٨) فرهنگ عقايد ومذاهب اسلامي ٣: ٦٦-٦٧.
- (٩٩) الفوائد المدنية: ١٢-١٣، موسوعة طبقات الفقهاء، مقدمة القسم الثاني: ٣٨٩.
- (١٠٠) وما مناظراته مع الخوارج وخطبه المشحونة بالادلة والاحتجاج على الناس في المجالات السياسية والدينية، وما ارساله ابن عباس لمحاججة الخوارج وتوصيته بمحاججتهم بالسنة، الادليل على ايمانه عليه السلام بحرية الفكر.
- (١٠١) فرق هاي اسلامي در سرزمين شام در عصر اموي " الفرق الاسلامية في الشام في العصر الاموي"، حسين عطوان، ترجمة: حميد رضا شيخي، مؤسسة بزوهش هاي استان قدس رضوي: ٢٢٨.
- (١٠٢) المصدر السابق: ٣١٧-٣٢٨.
- (١٠٣) مال إلى الاعتزال من خلفاء بني أمية كل من: وليد بن عبد الملك ومروان بن محمد

◇ جذور النزعة الظاهرية في فهم القرآن

- بن مروان، انظر: فرهنك عقائد ومذاهب اسلامي ٤: ٢٢٢ .
(١٠٤) المصدر السابق ٤: ٢٢٢-٢٢٣ .
(١٠٥) المصدر السابق ٤: ٢٣٤-٢٣٦ .
(١٠٦) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية، علي حسين الجابري: ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٢،
٢٧٩ .
(١٠٧) فرهنك عقائد ومذاهب اسلامي ٣: ٥٦-٥٧ .



